دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	سبل حماية وحفظ مدينة تلمسان العتيقة "الجزائر" في ظل الأخطار التي تهدد نسيجها العمراني والمعماري
المصدر:	مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية
الناشر:	جامعة نواكشوط - كلية الآداب والعلوم الإنسانية
المؤلف الرئيسي:	بورقبة، سامية
مؤلفين آخرين:	دحماني، صبرينة نعيمة(م. مشارك)
المجلد/العدد:	ع44
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2020
الشهر:	أغسطس
الصفحات:	295 - 312
رقم MD:	1083217
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الجغرافية التاريخية، التراث المعماري، المدن والقري، صيانة الآثار، الجزائر
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1083217

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

سبل حماية وحفظ مدينة تلمسان العتيقة (الجزائر)
في ظل الأخطار التي تهدد نسيجها العمراني والمعماري
Ways to protect and preserve the ancient city of Tlemcen (Algeria) In light of the dangers threatening its urban and architectural fabric

الباحثة: سامية بورقبة

و

د. صبرينة نعيمة دحماني

أستاذة محاضرة أ.

قسم علم الآثار

كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية

جامعة تلمسان – الجزائر

drsabrinadahmani@gmail.com

ملخص: تتعرض مدينة تلمسان العتيقة للعديد من التعديات والتجاوزات في حق تراثها المعماري منذ فترة الاحتلال الفرنسي إلى يومنا هذا، ما جعلها في حالة جد متدهورة من التلف سواء من ناحية تلف مواد بنائها بفعل عوامل التجوية باعتبارها عاملا أساسيا في تلف مواد البناء الأثرية باختلاف أنواعها، أو على مستوى تخطيطها الداخلي (تدخلات وتغييرات على مستوى المبنى الواحد) أو الخارجي (تخطيط المدينة بحد ذاتها من دروب وأزقة وواجهات المباني، هدم وبناء منشآت جديدة...) والذي يعتبر الإنسان العامل الأساسي في ذلك، ما يستدعي التدخل من قبل مصالح حماية التراث الأثري ووضع إستراتيجية محكمة للحد من تفاقم الأوضاع بالمدينة وإعادة إحيائها ورد الاعتبار لها كمدينة تراثية عريقة شاهدة على التاريخ الحضاري للأمة.

الكلمات المفتاحية: المدينة العتيقة تلمسان، تراث معماري، الاحتلال الفرنسي، التلف، مصالح حفظ التراث الأثري.

Summary:

The ancient city of Tlemcen is exposed to many infringements and violations in the right of its architectural heritage since the period of the French occupation to this day, which made it in a very deteriorating state of damage, both in terms of the damage to its building materials due to weathering factors as a key factor in the destruction of archaeological building materials of various types, Or at the level of its internal planning (interventions and changes at the level of the one building) or the external (city planning itself from the paths, alleys and facades of buildings, the demolition and construction of new facilities ...), which is the human being the main factor in that, which requires intervention by the interests

of heritage protection Archaeological and strategic development Yeh Court to limit the aggravation of the situation in the city and re-revival and rehabilitation as a city with an ancient heritage witness to the cultural history of the nation.
Key words: the ancient city of Tlemcen, architectural heritage, French occupation, damage, interests of preserving archaeological heritage.

مقدمة:

تتعرض المدن والتجمعات الحضرية القديمة لمجموعة من التعديات والتغيرات التي تعمل على تغيير نسيجها العمراني والمعماري العتيق، ما يستدعي على السلطات والهيئات الخاصة بحفظ التراث الأثري التدخل الفوري وإيجاد الحلول المناسبة لردع هذه التعديات لحماية هذا الإرث الحضاري من الاندثار.

وتعتبر مدينة تلمسان العتيقة من بين المدن التي تشهد على التاريخ الحضاري بالمنطقة وقد مستها العديد من الترميمات والتدخلات في إطار حمايتها والمحافظة عليها، غير أنها لم تصل بعد للحماية الفعلية فمعظم مبانيها ودروبها وأزقتها لم تتعدى دائرة الخطر وهذا ما لاحظناه من خلال معاينتنا الميدانية وتشخيص حالتها الراهنة لاستخلاص أهم الأخطار التي باتت تهددها، محاولين بذلك اقتراح جملة من الحلول التي يمكن أن تحمي وتُحيي تراث هذه المدينة من جديد، وعليه يمكن طرح الإشكالية المتعلقة بكيفية حماية وحفظ مدينة تلمسان العتيقة في ظل التعديات التي شهدتها منذ وطأة المستعمر الفرنسي إلى يومنا الحالي.

1- لمحة مختصرة حول مدينة تلمسان العتيقة:

تأسست هذه المدينة العتيقة* على مراحل تاريخية متتابعة مُخلِّفة بذلك في كل مرحلة نسيجا معماريا خاصا بالحضارة التي سادت آنذاك لتُكوِّن في الأخير النسيج العمراني والمعماري لمدينة تلمسان العتيقة والذي يمثل حيِّز الدراسة.

الموقع الجغرافي: تتموضع ولاية تلمسان في الإقليم الغربي للجزائر، يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط وولاية عين تموشنت، وجنوبا ولاية النعامة، أما شرقا ولاية سيدي بلعباس وغربا المملكة المغربية، بحيث تقدر مساحتها بحوالي 9020 كم²، أما بالنسبة للمدينة القديمة والتي تمثل عينة الدراسة فهي تعد مركز

* يُقصد بالمدينة العتيقة المدينة القديمة أو المدينة التاريخية، حيث تعرف بأنها: المدينة القديمة التي تحتفظ بمعالمها وطرزها المعمارية والفنية، وسِماتها الحضارية القديمة، وهي المدينة التي تحمل في تفاصيلها تاريخ الماضي والذي يتجسد من خلال عناصرها مثلما نجد في شوارعها وأزقتها من حيث الشكل والاتجاه، والضيق والاتساع، تسرد معان تاريخية تتصل بجوانب سياسية لحروب ودفاع وإجراءات أمنية على جانب العادات والتقاليد التي كانت سائدة فيها، كما ترتبط بمناخ وظروف جوية خاصة، **يُنظر:** السيد محمود البنا، **المدن التاريخية: خطط ترميمها وصيانتها**، ط2، مكتبة زهراء الشرق، مصر، 2009، ص 13، 14.

الولاية، حيث يحدها من الجنوب هضبة لالة ستي ومن الشمال سهول المدينة ودائرة سيدي سعيد وشتوان، ومن الغرب أطلال مدينة المنصورة المرينية، ومن الشرق مرتفعات قرية العباد[1].

شهدت تلمسان تعاقب العديد من الحضارات بدءا بفترة ما قبل التاريخ إلى العهد الروماني بالمنطقة (بوماريا)، لتُؤسَّس فيها أول مدينة إسلامية على يد الأدارسة وسُميت خلال تلك المرحلة بأغادير، غير أن التأسيس الفعلي للمدينة العتيقة التي نحن بصدد دراستها وبداية تكوّن نسيجها العمراني والمعماري كان مع المرابطين عند تأسيسهم لتاغرارت لتقوم محلّها دولة الموحدين، لتنفك هذه الأخيرة مُشكِّلة مجموعة من الدويلات، المرينية بالمغرب الأقصى والأغلبية بتونس، والزيانية بالمغرب الأوسط والتي كانت تلمسان عاصمة لها خلال مدة حكمها، حيث عرفت هذه المرحلة تطورا وازدهارا كبيرا ظهر من خلال المنشآت المعمارية التي خلفتها والتي شكلت هي الأخرى جزءا من نسيج المدينة العمراني، ليكتمل بمجيء العثمانيين للمنطقة والتي قدمت هي الأخرى لمستها المعمارية بالمدينة. غير أنها لم تسلم من تدخلات المستعمر الفرنسي من هدم وتخريب وتحديث وإضافات غيرت من ملامح وتخطيط المدينة القديمة الأصلية.

[1] دحماني نعيمة دحماني، جرد **المعالم التاريخية والمواقع الأثرية لمدينة تلمسان: دراسة تمهيدية لوضع الخارطة الأثرية**، أطروحة دكتوراه، تخصص علم الآثار والمحيط، قسم علم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، تلمسان، 2015م، ص 8.

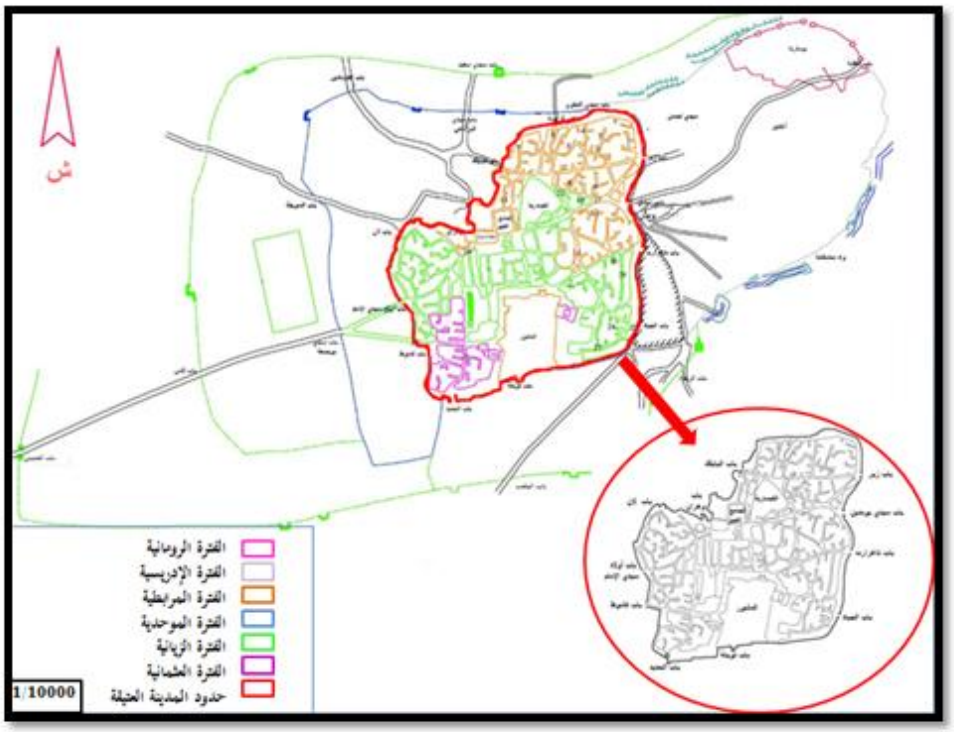

المخطط رقم 01: حدود المدينة العتيقة "تلمسان" وتطورها التاريخي

نقلا عن: **Analyse urbaine du noyau historique de Tlemcen (2003-2004)**, Etudiants 4e Architecture, département d'architecture, université d'Abou Bekr Belkaid, Tlemcen,p 21.]
(بتصرف)

2- الأخطار التي تهدد النسيج العتيق للمدينة:

عرفت المدينة العتيقة تلمسان عدة تغيرات على مستوى تخطيطها العمراني وذلك منذ أن وطأت أقدام المستعمر الفرنسي أرضها، إذ تعتبر تلك الفترة نقطة تحول بالنسبة للنمط الأصلي للمدينة، تلتها التغيرات الثقافية للسكان مما أخرج المدينة من أصالتها لتكتسي بذلك حُلَّة غربية سواء من حيث مبانيها أو نمط معيشتها الذي تجسد هو الآخر في الحياة الاجتماعية والاقتصادية بها، مما نتج عن ذلك مجموعة من الأضرار والأخطار التي أضحت تهدد بقاءها سواء من حيث مبانيها أو تخطيطها العمراني، ويمكن تقسيمها إلى أخطار ناتجة عن عوامل بيئية وأخرى ناتجة عن عوامل بشرية، وهي بذلك تشكل مصدر تهديد لبقاء واستمرار هذه المدينة القديمة.

2-1- أضرار ناتجة عن عوامل بيئية: وتتمثل في مجموع الأضرار التي تتسبب في حدوثها الطبيعة وهي تتعلق بالمناخ بالدرجة الأولى (الحرارة، الرطوبة، الرياح، التلوث) وما ينتج عنها من تأثيرات على مواد البناء الأثرية من تآكل وتفتت وتشقق وتصدع... وغيرها من الأضرار التي لا حصر لها مؤدية مع

مرور الوقت إلى عدم ثبوت المبنى وإمكانية انهياره في حالة عدم التدخل والقضاء على مسببات التلف الحاصل.

2-2- **أضرار ناتجة عن عوامل بشرية:** وهي مجموع الأضرار التي يتسبب في حدوثها الإنسان، سواء عن قصد أو غير قصد، وتعد أخطر العوامل التي تهدد المدن العتيقة بنسيجها العمراني بشقيه المادي والمعنوي، المادي المتمثل في المباني الأثرية والمعنوي المتمثل في التخطيط الأصلي للمدينة والذي يعد الأكثر تضررا بالعامل البشري، فهذا الأخير له دور في تغيير ملامح المدينة العتيقة التي أنشئت عليها، ويمكن إيجازها في العناصر الآتية:

- **عوامل التجديد والتحديث:** وهي جل الوسائل الحديثة التي يستخدمها الإنسان في الوقت الحالي[1]، وتتمثل في:

✓ **مواد البناء الحديثة:** والتي أصبحت تطغى على المباني الأثرية بالمدينة سواء من حيث التدخلات العشوائية على المبنى بحد ذاته من قبل سكان المنطقة، كالإضافات والإصلاحات التي تجرى على المباني ذات الملكية الخاصة نتيجة زيادة عدد أفراد الأسرة الواحدة ما استدعى التدخل على مستوى المسكن بإضافة غرف أو طوابق أخرى بهدف توسعته، أو غلق الفناء الداخلي والذي يعد من خصائص المسكن الإسلامي، وقد تشمل هذه التعديلات غلق أو فتح نوافذ وأبواب حسب حاجة أصحاب هذه الملكية، أو المنشآت الجديدة خاصة تلك التي بنيت خلال الفترة الاستعمارية.

الصورة رقم 01: تدخلات على مستوى المباني بمواد حديثة.

[1] السيد محمود البنا، المرجع السابق، ص 33.

✓ **نمط عمراني حديث:** بدأت بوادره منذ وطأة المستعمر الفرنسي بمدينة تلمسان وهو في استمرار إلى يومنا هذا، حيث أحدث تحولات جذرية في تخطيط المدينة وما نتج عنه من شوارع ودروب واسعة تختلف عن الدروب الضيقة التي تمثل أحد سمات العمارة الإسلامية، إضافة إلى إنشاء المباني العمودية بنمط عمراني غربي وغريب عن نمط المباني التقليدية ذات الطوابق المتعددة.

الصورة رقم02: مباني حديثة داخل النسيج العمراني للمدينة العتيقة

ويمكن حصر مجموعة التدخلات الاستعمارية على النسيج الحضري للمدينة في النقاط التالية:

- **التحصينات العسكرية :**

كانت أولى اهتمامات السلطة الفرنسية حال وصولها لتلمسان حول تنظيم الدفاع بالمدينة والسيطرة عليها عسكريا وذلك من خلال:

✓ تقوية وتعزيز التحصينات القديمة بالمدينة[1] وتشييد سور جديد للمدينة وذلك سنة 1848[2].

✓ بناء وتهيئة المباني العسكرية مثل: ثكنة المشور وثكنة قورمالة (Gourmala)، وكذا تحويل قيسارية تلمسان الممتدة على مساحة خمسة هكتارات إلى ثكنة عسكرية هي الأخرى، وتشييد ثكنة القطار على أنقاض مساكن القصر القديم[3]، إضافة إلى إنشاء ثكنة مصطفى محل منزل قديم وحديقته[4].

---

[1]Boukerch Djamel, **Evolution de la ville de Tlemcen pendant la période colonial (Eléments de croissance et de transformation**), thèse de magister en urbanis, epau, 1989, p 165,166.

[2] Sidi Mohamed Negadi, Michel Terrasse,Agnés Charpentier,**L'image de Tlemcen dans Les Archives Françaises**,Imprimerie Mauguin,Algérie, 2011, p 57.

[3] الرزقي شرقي، **المعالم التاريخية والمواقع الأثرية بمدينة تلمسان في عدسات مصوري القرن 19م**، ابن خلدون، تلمسان، 2013م، ص 37.

[4] **Plan D'Occupation du Sol : Médina de Tlemcen (P.O.S)**, phase 2, 2000, p 26.

- ✓ ربط المنطقة الممتدة بين المشور وباب وهران وذلك من خلال شق عدد من الشوارع والساحات إضافة إلى الطريق الوطني.

- **شق الطرقات والشوارع :**

في سنة 1860 تم إدراج مخطط توسعة مدينة تلمسان ذو شكل متعامد حيث تم شق محور رئيسي شرق غرب: الطريق الوطني (العقيد لطفي) تحفه مجموعة من مباني الخدمات العمومية مثل: البنك، البريد...، ومن الطريق الوطني تتفرع مجموعة من الطرق الثانوية بشكل متوازي مع المحور الرئيسي مثل: شارع السلم Rue de paix وأخرى عمودية مثل شارع باريس Rue de paris وشارع فرنسا Rue de France [1]، كما تم شق شوارع واسعة أخرى تؤدي بشكل رئيسي إلى بوابات المدينة مثل: شارع Lamorcière وشارع سيدي بلعباس[2].

- **الساحات:**

أولى المستعمر اهتمامه بمثل هذه الساحات المفتوحة مثل تلك التي نجدها في المدن الرومانية واليونانية، وقد كانت توجد بالمدينة ساحتان رئيسيتان هما: ساحة القوافل وساحة الفنادق واللتان تمت توسعتهما و إعادة هيكلتهما من قبل الإدارة الفرنسية، حيث تم إنشاء البلدية بساحة الفنادق، وهدم المدرسة التاشفينية التي تعد تحفة فنية لا مثيل لها لاستحداث ساحة مركزية مكانها[3]، كما قامت الإدارة المدنية الفرنسية بتدمير القيسارية وبناء السوق المغطى[4] .

- **البنايات:**

قامت السلطات الفرنسية خلال الفترة الممتدة من 1900 إلى 1962 بإنشاء مجموعة من المباني الاجتماعية والثقافية، مثل بعض المدارس: مدرسة الإناث بشارع فاس، وثانوية للذكور وغيرها من المنشآت التعليمية.

كما تم بناء مجموعة من الأحياء الأوروبية مثل: حي سيدي سعيد شمال مسجد سيدي الحلوي، وحي سيدي شاكر وغيرها...[5] .

---

[1] Mahdid Soumia, **Le tourisme culturel durable comme facteur de mise en valeur du patrimoine architectual : Le cas de la ville historique de Tlemcen**, Thèse de magister en Architecture, département d'architecture, faculté de Technologie, université Abou Baker Bekkaid, Tlemcen, 2012, p 92.

[2] Boukerch Djamel, Op.cit, p 167, et Plan D'Occupation du Sol (P.O.S)..., Op.cit, p 26.

[3] Boukerch Djamel, Op.cit, p 170-172.

[4] Plan D'Occupation du Sol (P.O.S)..., Op.cit, p 26.

[5] Mahdid Soumia, Op.cit, p 92.

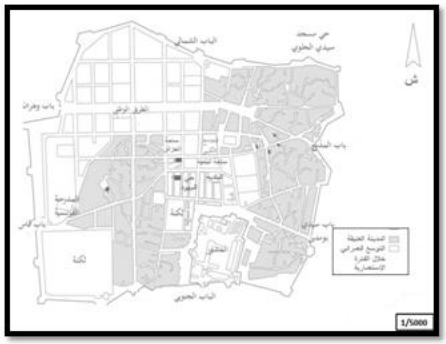

المخطط رقم 02: التوسع العمراني خلال الفترة الاستعمارية

نقلا عن: Analyse urbaine..., Op.cit, p 67.(بتصرف)

لا يمكن حصر التغيرات التي أحدثتها يد السلطات الاستعمارية الفرنسية في هذه النقاط فقط بل تتعدى ذلك وما تم ذكره يندرج ضمن أهم هذه التغيرات، والتي أعطت للمدينة نمطا أوروبيا على حساب النسيج العتيق للمدينة.

✓ **استحداث وسائل معيشية حديثة:** تتمثل في أنابيب المياه والغاز والصرف الصحي وأسلاك الكهرباء والهوائيات المقعرة... إلخ، وهي وسائل معيشية عصرية دخيلة على النمط المعيشي القديم بالمدينة[1]، فبالإضافة إلى التشوه البصري الذي ينتج عنها على مستوى مبانيها ودروبها، هناك تأثيرات جانبية كإحداث بعض الشقوق والشروخ نظرا لما تحتاجه عملية التوصيل من إجراءات حفر على مستوى الأرضيات والجدران وكذا وضع العدادات، أو تسرب المياه نتيجة تلف أنابيب توصيل المياه مما يسبب ارتفاع نسبة الرطوبة بجدران المباني.

الصورة رقم03 : تأثيرات ناجمة عن أنابيب المياه وأسلاك الكهرباء وما تحدثه من تلوث

[1] السيد محمود البنا، المرجع السابق، ص 40.

✓ **وسائل النقل:** صممت مدينة تلمسان العتيقة على نمط المدن الإسلامية الذي سادت فيه الدروب الضيقة، وكانت وسيلة النقل الوحيدة آنذاك هي الدواب، غير أن التطور الكبير في وسائل النقل واستخداماتها الكثيرة من قبل الإنسان وشق الطرقات والشوارع الواسعة خلال الفترة الاستعمارية أعطى نمطا جديدا للحياة داخل المدينة العتيقة، وأصبحت السيارات والحافلات وغيرها تغزو شوارعها، بحيث تؤدي إلى مجموعة من الآثار الجانبية والمتمثلة في:

- الاهتزازات التي تسببها حركة المرور اليومية والمستمرة بجانب المباني الأثرية والتي ينتج عنها مجموعة من الشقوق والتصدعات بمرور الوقت.
- الأدخنة الناتجة عن احتراق البنزين وما ينجر عنها من ملوثات غازية تتفاعل مع مواد البناء في حالة وجود الرطوبة مشكلة طبقة سوداء على الأسطح الخارجية للمباني.
- زيادة استخدام وسائل النقل الحديثة يولد الحاجة إلى شق الطرق وتوسعة الشوارع مما يغير من تخطيط المدينة، إضافة إلى الحاجة لأماكن ومساحات جديدة لوقف السيارات (موقف السيارات).
- كما تتسبب حركة المرور المستمرة تشوها بصريا، كما هو الحال بالنسبة للقسم المركزي للمدينة العتيقة والذي يشهد توافد العديد من السيارات على مدار اليوم وبذلك تشويه المنظر الخارجي للمعالم الموجودة بهذا القسم وحجب الرؤية (الجامع الكبير، مسجد أبي الحسن التنسي، قلعة المشور...).

الصورة رقم 04: حركة المرور الدائمة بالحي المركزي

- **عوامل اجتماعية:**

✓ **التوسع العمراني:** وقد بدأ مع المستعمر الفرنسي وما أحدثه من تغييرات في تخطيط المدينة العتيقة (شق الشوارع والطرقات، هدم وتخريب العديد من المباني واستحداث مكانها مباني جديدة) واستمر

هذا إلى يومنا سواء داخل أسوار المدينة أو خارجها والذي تبلور عنه مجموعة من الأحياء السكنية الجديدة بنمط عمراني حديث (مثل: بلدية منصورة، إيمامة، شتوان...).

✓ **مشاكل الملكية:** إن أغلب الملكيات العائلية في المدينة العتيقة تكون ملكيات مشتركة غير مقسمة، ونظرا للخلافات التي تنشأ بين الورثة يمكن أن يؤدي إلى تدهورها طول مدة النزاع، والتي قد تنتهي باللجوء إلى القضاء[1]، كما تتعرض هذه المنشآت إلى تدخلات عشوائية من قبل أصحابها كما ذكرنا سابقا، ويمكن أن يتم هدمها كليا وإنشاء مبنى حديث حسب متطلبات الحياة العصرية، فرغم النصوص القانونية التي أُبرمت لحل هذه المشكلة إلا أنها لا تزال تلقى التعنت والرفض من قبل أصحاب الملكيات الخاصة بسبب جهلهم بهذا الإرث الحضاري.

الصورة رقم 05: تجديد المباني السكنية بالأحياء العتيقة

- **عوامل اقتصادية:** إن التطور الهائل في مجال الصناعة والتكنولوجيا أدى إلى التخلي عن الصناعات والحرف التقليدية التي كانت سائدة في فترات مضت، إذ كانت تسمى الدروب باسم الحرف المقامة بها (درب الصباغين، درب الحجامين، درب الصبانين، ...) واليوم تشهد تغيرا جذريا في أصلها الذي أنشئت عليه، فنادرا ما نجد بعض المحلات التي لازالت تمارس فيها الحرف التقليدية والباقي اكتسى حلة عصرية (بيع منتجات صناعية، ملابس عصرية،...) ما أدى إلى تغيير الطابع الاقتصادي للمدينة العتيقة، ما جعلها تعيش بحلة غربية بعيدة كل البعد عن النمط التقليدي، كما تتسبب اللافتات والمنتجات التي تعلق وتعرض خارج هذه المحلات بتلوث بصري يحجب رؤية التخطيط الأصلي للحي التجاري بالمدينة.
- **مشاكل علمية وتقنية:** والتي يمكن حصرها في النقاط الآتية:

[1] جلال عبد الكافي، **مصير المدن العربية في أفق 2030، المدن العتيقة في أفق 2030: التصورات والاستراتيجيات،** الندوة العالمية لإحياء المدن التاريخية جنوب المتوسط، دار اليمامة للنشر والتوزيع، 2008م ، ص 125،126.

_ عدم وجود شراكة بين الهيئات المسؤولة عن حفظ التراث الأثري والمؤسسات العلمية والأكاديمية (الجامعة) وبالتالي غياب العمل الميداني للطلبة مما ينتج عنه متخصصين في مجال الصيانة والترميم غير أكفاء بسبب بعدهم عن الجانب التطبيقي.

_ ارتباط مشاريع الترميم بالجانب الاقتصادي (دفتر الشروط) .

_ غياب التمويل المالي الذي يغطي إجراءات الصيانة والترميم وبالتالي تدهور حالة المباني الأثرية.

_ ارتباط أعمال الترميم بأحداث سياسية كما هو الحال بالنسبة لترميمات 2011م والتي جاءت على إثر تتويج تلمسان عاصمة للثقافة الإسلامية لسنة 2011، والتي ترتب عنها مجموعة من التدخلات ارتبطت بفترة زمنية محددة فخلفت جريمة في حق معالم هذه المدينة نظرا لما تعانيه اليوم من أضرار بسبب تلك التدخلات، كما تم من خلالها طمس وتشويه لأغلب معالمها الفنية التي كانت تتميز بها.

- **الإهمال والجهل:** تعتبر هذه النقطة أساس تدهور معالم المدينة العتيقة نظرا لجهل أفرادها بأهمية هذا الإرث الحضاري، مما ينتج عنه في أغلب الأحيان مجموعة من التدخلات العشوائية التي يتم من خلالها طمس معالمها.إضافة إلى التخريب والسرقة الذي تتعرض له بعض المواقع الأثرية والمعالم التاريخية بالمدينة.

الصورة رقم 06: تخريب وهدم مباني قديمة

3- الحلول المقترحة لحماية مدينة تلمسان العتيقة:

3-1- إجراءات الحماية الإدارية والقانونية:

- **تفعيل دور المؤسسات والهيئات الخاصة بحماية التراث الأثري:** لا يمكن تجسيد أي قانون دون استحداث مؤسسات خاصة تسهر على تطبيقه على أرض الواقع، ولحماية التراث الأثري تم تشكيل مجموعة من المؤسسات التي تختص في هذا المجال، وتعمل على اتخاذ التدابير اللازمة في مجال المحافظة على هذا الإرث الحضاري سواء من حيث الجانب التقني (صيانة وترميم، وتأهيل،...) أو الجانب الإداري والقانوني (جرد وتصنيف ونزع الملكية، ...).

غير أن تفعيل هذه المؤسسات هو الأهم، بحيث يجب أن تقوم بمهامها على أكمل وجه حسب ما نصت عليه المراسيم التنفيذية التي أمرت بإنشائها وحدّدت مهامها ودورها في حماية التراث الأثري، ومن واجبها السهر على تطبيق القوانين وردع التجاوزات التي يحدثها سكان المنطقة بصفة خاصة.

✓ **الجرد والتصنيف:**

- **الجرد:** وهو عبارة عن عملية إحصاء وجمع معلومات تتعلق بمبنى تاريخي أو موقع أثري، وهذه العملية إيجابيات تنعكس إيجابا على المحافظة والحماية بحيث يصبح له تأثير على كل القرارات المتعلقة بإنجاز الأشغال سواء كانت عامة أو خاصة بالقرب من هذه المنشآت الأثرية[1]، وقد جاء في القانون الجزائري المتعلق بحماية التراث الثقافي 98-04 جميع الإجراءات المتعلقة بعملية التسجيل في قائمة الجرد الإضافي، والمواد المعنية بذلك من المادة 10 إلى المادة 15 من هذا القانون[2].
- **التصنيف:** يعد أحد إجراءات الحماية النهائية، بحيث تعتبر الممتلكات الثقافية العقارية المصنفة التي يملكها الخواص قابلة للتنازل[3]، ويقصد به اعتبار هذه الممتلكات الثقافية تراثا وطنيا يعكس هوية الوطن وجب حمايته من التلف والضياع والاعتداء[4] وعلى إثر هذا نصّ قانون 98-04 على طرق التصنيف وأهم التدابير المتبعة وذلك ما تمّ ذكره في المواد الخاصة بفصل تصنيف الممتلكات الثقافية العقارية: من المادة 16 إلى المادة 40[5].

تعتبر هذه العمليات من مهام مديرية الثقافة، وبمدينة تلمسان العتيقة العديد من المباني الأثرية غير المصنفة والتي لها أهمية تاريخية وفنية ومعمارية وتدخل في إطار النسيج المعماري للمدينة، والتي يجب تصنيفها لتدخل في إطار الحماية، إلا أن هذه العملية لا تنتهي عند هذا الحد إذ وجب على الهيئات المسؤولة عن حماية التراث الأثري متابعة ومراقبة هذه المعالم وهذا ما تفتقر إليه جل المباني المصنفة بالمدينة.

✓ **الاستحداث في شكل قطاعات محفوظة:** وهذه العملية تخص القصبات والمدن والقرى والمجمعات السكنية التقليدية التي تتميز بغلبة المنطقة السكنية فيها ذات وحدة معمارية وجمالية ممّا يكسبها أهمية من

---

[1] معروف بلحاج، طرشاوي بلحاج، **واقع تصنيف التراث الجزائري بين الواقع والعوائق**، مجلة منبر التراث الأثري، العدد3، مخبر التراث الأثري وتثمينه، جامعة تلمسان، 2014م، ص 179.

[2] **قانون 98-04 المتعلق بحماية التراث الثقافي**، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، ع 44، الجزائر، 1998م، ص 5،6 .

[3] المرجع نفسه، ص 6.

[4] معروف بلحاج، طرشاوي بلحاج، المرجع السابق، ص 180، 181.

[5] قانون 98-04 المتعلق بحماية التراث الثقافي، المرجع السابق، ص 6- 10.

الناحية التاريخية أو المعمارية أو الفنية أو التقليدية، ويتم تزويد هذه القطاعات المحفوظة بمخطط دائم للحماية والاستصلاح وذلك حسب ما جاء في قانون 98-04 في المواد 41 إلى غاية المادة 45 [1] .

وقد تم إنشاء القطاع المحفوظ لمدينة تلمسان وسمي بـ: " المدينة العتيقة " وذلك حسب ما جاء في **المرسوم التنفيذي رقم 09-403 المؤرخ في 12 ذي الحجة عام 1430 الموافق 29 نوفمبر سنة 2009**، وقد حددت مساحتها بـ 51 هكتار[2]، ومن ثمَّ إعطاء أمر لمكتب الدراسات " ARCADE " في 2009/12/31 بانطلاق دراسة وإعداد المخطط الدائم لحفظ القطاع المحفوظ للمدينة العتيقة تلمسان واستصلاحه (PPSMVSS)[3] ، غير أن هذا المخطط لا يزال في مرحلته الثانية وحسب ما جاء في تقرير المرحلة الأولى أنها انتهت في أفريل 2018 ، وهي مدة طويلة بالنسبة لتاريخ بدأ الأعمال المذكور سابقا.

- **تفعيل الحماية القانونية:** وذلك من خلال تطبيق النصوص القانونية الواردة بقانون حماية التراث الأثري رقم 04/98 سواء في مجال الجرد والتصنيف كما ذكر سالفا أو عمليات الصيانة والترميم ونزع الملكية، وكذا تطبيق العقوبات التي نصت عليها المواد: من المادة 91 إلى المادة 105 من هذا القانون.

3-2- إجراءات الحفاظ على النسيج المعماري للمدينة العتيقة تلمسان:

وهي مجموعة الأعمال التقنية والتطبيقية التي تضم مختلف إجراءات الصيانة والتنظيف والتدعيم والترميم، ومن خلال معاينة بعض معالم المدينة يمكن اقتراح جملة من الإجراءات للحد من الأضرار التي تعتليها، وتتمثل فيما يلي:

- نزع النباتات من الجدران والتخلص من الفطريات والطحالب التي لها تأثير على مكونات مواد البناء، وتتسبب في تشويه المظهر الخارجي للمباني.
- ترميم الشقوق والشروخ بالمباني بطريقة دقيقة وتقنية وباستعمال مواد مناسبة لذلك.
- علاج مظاهر الرطوبة التي تعاني منها أغلب مباني المدينة والقضاء على مصدرها، خاصة تلك التي تسببها المياه الجوفية إذ تعتبر أكثر خطورة باعتبارها تهدد أساسات المباني وهيكلها الإنشائي.
- تنظيف أسطح وواجهات المباني من التلف البيولوجي والمرض الأسود (نتائج التلوث الجوي).
- تثبيت مواد البناء مع بعضها باستعمال الملاط.
- ترميم الأسقف وتدعيمها.

---

[1] المرجع نفسه، ص10.

[2] **المرسوم التنفيذي رقم 09- 403 المؤرخ في 12 ذي الحجة عام 1430 الموافق 29 نوفمبر سنة 2009**، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، ع 71، الجزائر، 2009، ص 6، 7.

[3] **تقرير من مديرية الثقافة بتلمسان، مصلحة التراث الأثري.**

- تدعيم الجدران ذات الحالة المتدهورة.
- تلبيس الجدران في المناطق التي فقدت الطبقة الخارجية من التلبيس.
- توفير الصيانة الدورية التي يتم من خلالها مراقبة حالة المباني بصفة دائمة.

كما يوجد مجموعة من النقاط الأساسية التي لها دور في نجاح هذه الإجراءات والمتمثلة فيما يلي:

- الاعتماد على التحاليل المخبرية في تشخيص الأضرار باعتبارها تعطي نتائج دقيقة في تحديد عوامل التلف للقضاء عليها. غير أن هذه العملية تحتاج إلى أجهزة وأدوات خاصة ومختصين يتقنون العمل بها، كما تحتاج إلى دعم مالي من أجل توفيرها أثناء القيام بالتحاليل، ويمكن القول أنه يجب استحداث مخابر خاصة مجهزة من أجل القيام بالتحاليل المخبرية.
- الاستعانة بمرممين مختصين في عمليات الصيانة والترميم.
- محاولة استعمال نفس مواد البناء في الترميم ومنع استعمال الاسمنت المسلح للمحافظة على أصالة المبنى وعدم حدوث تأثيرات جانبية بين مواد البناء ومواد الترميم.
- توفير وسائل ومواد الترميم التي يحتاجها المرممين في أعمالهم.
- صيانة أنظمة الصرف الصحي وأنابيب توصيل المياه فهي تعمل على رفع نسبة المياه التحت أرضية التي تنفذ من خلال الخاصية الشعرية إلى أساسات المباني ومن ثم إلى جدرانها، كما تؤثر على الأرضيات.
- تنظيم حركة المرور ومحاولة القضاء عليها داخل النسيج العمراني للمدينة العتيقة باعتبارها تتسبب في حدوث تشققات على مستوى المباني بفعل الاهتزازات التي تنتج عنها، كما لها دور في التلوث الجوي بفعل الغازات التي تنتج من احتراق البنزين والتي تترسب على الأسطح الخارجية للجدران على شكل بقع سوداء (المرض الأسود).
- توفير الرقابة من قبل المؤسسات المعنية لمنع أي تدخل عشوائي على معالم المدينة.
- صيانة وترميم جميع المباني سواء كانت مصنفة أو غير مصنفة حتى نقضي على الإهمال الذي يجوب المعالم غير المصنفة والمهمشة.

3-3- القضاء على الملوثات البصرية: يصنف التلوث البصري ضمن المشاكل التي تعاني منها المدينة العتيقة حاليا، والذي نتج عن التطور الصناعي والتكنولوجي الحاصل في مجتمعنا اليوم، ويمكن التخلص منه كما يلي:

- تعتبر الصيانة والترميم نقطة أساسية في القضاء على التلوث البصري باعتبارها تعيد الشكل الجمالي للمباني خاصة الواجهات والجدران الخارجية.

- الاعتماد على أنظمة توصيل الكهرباء تحت الأرض نظرا لما تشكله أعمدة وخيوط الكهرباء من تشوه خارجي للمباني والدروب والذي لاحظناه بكثرة بالمدينة.
- وضع عدادات الماء والغاز والكهرباء ضمن صناديق تتلاءم مع الشكل التقليدي للمبنى.
- نزع اللافتات واللوحات الإشهارية التي تحجب الرؤية، خاصة التي يضعها التجار أمام واجهات محلاتهم.
- القضاء على حركة المرور داخل قلب المدينة فهي الأخرى تعتبر من الملوثات البصرية، وتخصيص مواقف للسيارات خارج حدود المدينة.
- وقف استعمال مواد البناء الحديثة داخل النسيج الحضري للمدينة القديمة، ومنع البنايات العمودية ذات النمط الغربي داخلها.
- إزالة المقعرات الهوائية وكل ما يشوه المظهر الخارجي للمباني.
- إعادة بناء المباني المهدمة والمخربة أو إزالة أنقاضها حتى لا تشكل تشويها للمظهر الخارجي للنسيج المعماري.

3-4- تحسين المسكن التقليدي وصيانته: وتعتبر هذه النقطة من بين أساليب الحفاظ التي جاءت بها وثيقة واشنطن من أجل حماية المدن التاريخية والمناطق العمرانية لسنة 1987م* ويتم ذلك من خلال :

- تدعيم هيكله الإنشائي في حالة المساكن المتدهورة.
- صيانة وترميم جميع أجزائه المتضررة.
- تهيئة وتجهيز المسكن القديم بجميع المستلزمات اليومية من أجل توفير ظروف العيش الملائمة التي تتطلبها الحياة العصرية.
- إعادة هيكلة وتجديد جميع قنوات الصرف الصحي وأنابيب الماء والغاز وأسلاك الكهرباء بطريق تتناسب مع النمط التقليدي لهذه المساكن.
- المراقبة الدورية من قبل الهيئات المسؤولة لمنع أي تدخل عشوائي من قبل أصحاب المسكن، ومحاولة توعيتهم بالأهمية التاريخية والأثرية لهذا النوع من المباني.

* وثيقة واشنطن من أجل "حماية المناطق التاريخية والمساحات العمرانية" أصدرتها منظمة ICOMOS عام 1987 وهي تتمة لما جاء في ميثاق البندقية 1964: تضمنت مجموعة من المبادئ والأهداف التي يجب أخذها بعين الاعتبار في عملية الحفاظ على المدن القديمة والمراكز التاريخية إضافة إلى الطرق والوسائل التي يجب إتباعها، ينظر: هزار عمران، جورج دبورة، **المباني الأثرية: ترميمها، صيانتها والحفاظ عليها**، منشورات وزارة الثقافة، المديرية العامة للآثار والمتاحف، سوريا، 1997م، ص 149، 150.

3-5- تأهيل ودمج معالم المدينة العتيقة في الحياة اليومية: تعد هذه العملية مرحلة مهمة في عملية الحفاظ، وتأتي بعد القيام بمجموعة من الإجراءات الخاصة بتجهيز المبنى الأثري والتي تضم صيانته وترميمه وتهيئته لتولي الوظيفة المقترحة التي سيشغلها مستقبلا، دون المساس بأصالته. و يتحقق من خلالها ما يلي:

- عدم إهمال المبنى وهجره.
- تعتبر وسيلة للإنفاق على صيانته والعناية به.
- تجعله على صلة بالحياة وربط الماضي بالحاضر من خلال فتحه للجمهور[1].

تتطلب عملية تأهيل ودمج المباني الأثرية والمدينة العتيقة عامة الالتزام بمجموعة من الشروط الواجب اتخاذها قبل القيام بهذه الخطوة، والمتمثلة في:

- ضرورة توافق الأنشطة (الوظائف) الجديدة مع طابع المدينة القديمة[2].
- إذا احتاج المبنى لبعض التعديلات فلتكن محدودة قدر الإمكان.
- استخدام المبنى قد يحتاج إلى بعض الإضافات، لذلك يجب أن تكون العناصر المضافة من مواد تتناسب مع مواد البناء الأصلية للمبنى الأثري مع مراعاة مبدأ التمييز.
- في حالة ترميم المبنى واستكمال عناصره الناقصة من أجل توظيفه يجب الاعتماد على المبادئ التي وردت بميثاق البندقية [3].

3-6 - إحياء المدينة العتيقة تلمسان: عندما تحدثنا عن التأهيل والدمج ركزنا على مباني فردية وكلها تلتقي عند نقطة الإحياء باعتباره يعتمد على ربط هذه المباني القديمة بالحياة اليومية وإعادة إحياء النمط التقليدي بالمدينة في جميع جوانبه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

3-7- وضع الخارطة الأثرية : ليتم تعيين حدود المدينة العتيقة عليها بعد جرد كل معالمها التاريخية ومواقعها الأثرية.

3-8- تشجيع المشاركة الشعبية: ترتبط هذه النقطة بالوعي الثقافي لأهل المجتمع ومدى اهتمامه بهذا الإرث الحضاري، وهذا ما يغيب عن أهل مدينة تلمسان العتيقة، مما ساهم في تفاقم الأوضاع بالمدينة ووصولها للحالة المتدهورة التي تعاني منها في وقتنا الحالي، إضافة إلى الثقافة الغربية والعولمة التي سيطرت على كافة المجتمعات، لذلك أشرنا إلى وجوب تشجيع المشاركة الشعبية لحماية التراث الأثري بالمدينة، لتساهم كل فئات المجتمع صغيرهم وكبيرهم في الحفاظ عليها ويتم ذلك من خلال:

---

[1] هزار عمران، جورج دبورة، المرجع السابق، ص 67.

[2] وثيقة واشنطن من أجل صيانة المناطق التاريخية والمساحات العمرانية: 1987م.

[3] هزار عمران، جورج دبورة، المرجع السابق، ص 67.

- نشر الوعي بأهمية تراث المنطقة ووجوب الحفاظ عليه.
- دمج مفاهيم حول التراث وأهميته في المقررات التعليمية للأطفال.
- تنظيم رحلات وزيارات للأطفال لمعالم تاريخية ومواقع أثرية والمتاحف.
- وضع لوحات تعريفية بالمناطق التراثية.
- تخصيص برامج تراثية تعرض بشكل يومي يتم من خلالها التعريف بالتراث الأثري لكل منطقة.
- التعريف بالتراث الأثري من خلال النشر المكثف لمواقع ومعالم تاريخية على وسائل التواصل الاجتماعي باعتبارها الوسيلة الأكثر تداولا بين أوساط المجتمع.

4- نتائج وتوصيات:

وبعد إعطاء مجموعة من الحلول التي يمكن أخذها بعين الاعتبار لحماية المدينة، يمكن اقتراح مجموعة من التوصيات كخلاصة لهذه الحلول:

- ضرورة تعاون المؤسسات الخاصة بحماية التراث الأثري وتكوين أخصائيين في أعمال الصيانة والترميم.
- تطبيق القوانين الردعية على كل من يتعدى على معالم المدينة.
- تطبيق أحكام مخطط الحفظ للمدينة العتيقة تلمسان ومنع أي تدخلات عشوائية على المباني.
- إعادة تهيئة المدينة من جديد بالقضاء على كل الملوثات البصرية من مقعرات هوائية وأسلاك وأعمدة كهربائية وأنابيب الماء والغاز وإعادة هيكلتها من جديد بطريقة تتناسب مع النمط التقليدي للمباني.
- محاولة إحياء الصناعات التقليدية بالدروب والمحلات التجارية من خلال تشجيع أصحاب الحرف التقليدية على الإنتاج وتوفير المادة الأولية.
- تهيئة شوارع ودروب المدينة العتيقة، وصيانتها والقضاء على مصادر المياه الجوفية بها.
- القضاء على حركة المرور داخل النسيج العتيق للمدينة وإنشاء مرائب للسيارات قريبة منها حتى يتسنى للسكان ركن سياراتهم بها والدخول للمدينة.
- المراقبة الدورية لجميع المباني بالمدينة العتيقة خاصة السكنية (المحافظة على أصالة المباني القديمة).
- توعية السكان بأهمية هذا التراث الأثري ووجوب المحافظة عليه.
- نزع كل اللوحات الإشهارية التي تدخل في إطار النسيج العتيق للمدينة واستبدالها بلوحات إرشادية وتعريفية بالمدينة العتيقة ودروبها وأحيائها وجميع منشآتها الأثرية لتكون وجهات ظاهرة للسياح.
- صيانة وترميم جميع واجهات المباني القديمة والقضاء على الملوثات البصرية التي تشكلها لافتات المحلات التجارية.

- تشجيع سكان المدينة العتيقة وإشراكهم في أي أعمال للصيانة والترميم.
- تنظيف دروب وأزقة المدينة العتيقة وتوفير أشخاص لجمع النفايات بطريقة دورية.

تبقى هذه النقاط مجرد مقترحات وهي كثيرة وعديدة إلا أن بداية التطبيق هي الأساس فللوصول إلى الحماية الفعلية والمحافظة على هذه المدينة التاريخية لابد من التدخل الفوري ووضع حد لهذه المخاطر.

قائمة المراجع:

- السيد محمود البنا، **المدن التاريخية: خطط ترميمها وصيانتها**، ط2، مكتبة زهراء الشرق، مصر، 2009.
- دحماني نعيمة دحماني، جرد **المعالم التاريخية والمواقع الأثرية لمدينة تلمسان: دراسة تمهيدية لوضع الخارطة الأثرية**، أطروحة دكتوراه، تخصص علم الآثار والمحيط، قسم علم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، تلمسان، 2015م.
- Boukerch Djamel, **Evolution de la ville de Tlemcen pendant la période colonial (Eléments de croissance et de transformation)**, thèse de magister en urbanis, epau, 1989.
- Sidi Mohamed Negadi, Michel Terrasse,Agnés Charpentier,**L'image de Tlemcen dans Les Archives Françaises**,Imprimerie Mauguin,Algérie, 2011 .
- الرزقي شرقي، **المعالم التاريخية والمواقع الأثرية بمدينة تلمسان في عدسات مصوري القرن 19م**، ابن خلدون، تلمسان، 2013م.
- **Plan D'Occupation du Sol : Médina de Tlemcen (P.O.S)**, phase 2, 2000, p 26.
- Mahdid Soumia, **Le tourisme culturel durable comme facteur de mise en valeur du patrimoine architectual : Le cas de la ville historique de Tlemcen**, Thèse de magister en Architecture, département d'architecture, faculté de Technologie, université Abou Baker Bekkaid, Tlemcen, 2012.
- **Analyse urbaine du noyau historique de Tlemcen (2003-2004)**, Etudiants 4e Architecture, département d'architecture, université d'Abou Bekr Belkaid, Tlemcen.
- جلال عبد الكافي، **مصير المدن العربية في أفق 2030، المدن العتيقة في أفق 2030: التصورات والاستراتيجيات**، الندوة العالمية لإحياء المدن التاريخية جنوب المتوسط، دار اليمامة للنشر والتوزيع، 2008م.
- معروف بلحاج، طرشاوي بلحاج، **واقع تصنيف التراث الجزائري بين الواقع والعوائق**، مجلة منبر التراث الأثري، العدد3، مخبر التراث الأثري وتثمينه، جامعة تلمسان، 2014م .
- **قانون 98-04 المتعلق بحماية التراث الثقافي**، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، ع 44، الجزائر، 1998م.
- **المرسوم التنفيذي رقم 09- 403 المؤرخ في 12 ذي الحجة عام 1430 الموافق 29 نوفمبر سنة 2009**، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، ع 71، الجزائر، 2009.
- **تقرير من مديرية الثقافة بتلمسان، مصلحة التراث الأثري.**
- هزار عمران، جورج دبورة، **المباني الأثرية: ترميمها، صيانتها والحفاظ عليها**، منشورات وزارة الثقافة، المديرية العامة للآثار والمتاحف، سوريا، 1997م.